

مصطفیٰ احمد حسن امام (مصری)

من جوانب عظمت الرسول ﷺ

۱۔ من اخلاقه و حسن معاشرته

صلى الله عليه وسلم

في هذا الجانب من عظمة الرسول صلى الله وسلم قد يجد الانسان نفسه عاجزا كل العجز عن تصوير هذا الجانب تصويرا حقيقياً . ذلك أن حدود العظمة في التصور الانساني قد تتضح في قول الناس ان فلانا متواضع او حليم او لين الجانب او كريم طيب الاثرية او أمين صادق وفي ، الى غير ذلك من الصفات التي تعد مغنا كبيرا يشرف الانسان و يعظم قدره حين يحظى بواحدة من تلك الصفات .

اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نال الحظ الاوفى من صفات الكمال البشري بحيث يعد في هذا المجال صاحب عظمة العظمت ، و ناهيك بمن اديه ربه و علمه ربه و اثني عليه ربه فقال : (و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيماً) و قال جل شأنه (و انك لعلى خاق عظيم) و قال تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) و قد روى ان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اجاب رجلا يهوديا فصيحاً جاء يطلب منه ان يصف له اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي رضي الله عنه : صف لي متاع الدنيا حتى أصف لك اخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل : هذا لا يتيسر لي ، فقال له عليه السلام : عجزت عن وصف متاع الدنيا و قد شهد الله على

قلته فقال : (قل متاع الدنيا قليل) فكيف أصف اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وقد شهد الله بانه عظيم فقال (و انك لعلی خلق عظيم)^١
من أجل ذلك سوف نذكر في هذا المقام طرقا يسيرا من اخلاقه صلى الله عليه وسلم وحسن معاشرته مع أهله و خدمه و مع الصبيان و مع الفقراء ، وهى جوانب ذات آثار كريمة فى التربية الانسانية التى سبق به رسول الله صلى الله عليه وسلم و تصلح لأن تكون دستورا كاملا للبشرية جمعاء و فى كل مكان و على مدى الأزمان !

١- الرسول مع اهله :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير راع لأهله بحيث تعد اخلاقه وحسن معاشرته مضرب المثل ، و هو الذى يقول : (خيركم خيركم لأهله ، و انا خيركم لأهلى) (ابن ماجة ، نكاح) - وهو الذى يجيب من ناداه من أهله بقوله : لبيك - و هى كلمة اعتدنا ان يقولها ضعفائنا لعظائنا او العبيد لساداتهم - و هو الرسول الذى تطيب نفسه بما يقدم اليه من الطعام لا يعيبه ولا يتأفف منه ، ففى الخبر الصحيح : (ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله و الا تركه) .

و لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيته بالذى يأمر و ينهى كما يفعل احدنا فى بيته - فمع كثرة زوجاته و وجود من يخدمه يفعل بيده الشريفة مالا يفعله احدنا فى بيته الا ان يكون صاحب قدوة برسول الله الكريم ، فقد اخبرت السيدة عائشة رضى الله عنها و قد سئلت عن : (ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع فى بيته قالت : كما يصنع احدكم : يخصف نعله ، و يرفع ثوبه) !

والرسول صلى الله عليه وسلم لا تمتد يده بأذى حتى و لو للتأديب لأحدى زوجاته أو خدمه . فتقول السيدة عائشة رضى الله عنه : (لم يضرب

١- انظر مفاتيح الغيب و روح المعاني فى تفسير هذه الآية .

النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً) . . . الحديث (مسلم في الفضائل ، وابن ماجه في ضرب النساء) - والرسول صلى الله عليه وسلم ينكر على الرجل أن يجلد امرأته جلد الأئمة مع ما بينهما من مودة و تعاطف ، ويقول : (خياركم خياركم لنسائهم) و(استوصوا بالنساء خيراً) ١ فأى عظمة لحسن المعاشرة و الاخلاق التي تمتع بها أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه وفي خلته الكريمة ، وهذا غض من فيض تذكركه لمن يجب أن يتأس برسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته و مع اهله .

٢- الرسول مع خدمه :

و الرسول صلى الله عليه وسلم مع خدمه هو خير سيد عرفته البشرية ، وخير من ينطق بهذه الشهادة خادمه أنس بن مالك رضى الله عنه .

فقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وليس له خادم فاخذ أبوطلحة بيد أنس بن مالك و انطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله أن انس بن مالك غلام كئيس فليخدمك . قال انس : فخدمته في السفر والحضر ما قال لى لشئى صنعت له هذا هكذا ؟ ولا لشئى لم أصنعه ليم لم تصنع هذا هكذا ؟ (البخارى في كتاب الادب) .

و في رواية : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف ولا لى صنعت ؟ ولا ألا صنعت ؟ (البخارى في كتاب بدء الخلق) .

و قد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك بقضاء بعض حاجاته فتلكأ أنس في الطريق و مر بالصبيان و هم يلعبون في السوق فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه يقبض على قفاه ، يقول أنس : فنظرت اليه و هو يضحك ، فقال : يا انيس اذهب حيث أمرتك ؟ قال : نعم أنا أذهب يا رسول الله . . . الحديث (مسلم في كتاب الفضائل) . و لم يعنفه او

١- أخرجه البخارى و مسلم و الترمذى -

يزجره و هو أقل شئ يفعلُه احدنا مع خادمه . و انظر لقول النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنس ، بصيغة التصغير ، وفي هذا النداء ما فيه من شفقة و عطف و حنان قد لا نجده الا من الأب الرحيم العطوف ببنيه و فلذات كبده . و الرسول صلى الله عليه وسلم يضع دستوراً عاماً للخادم و حقوقهم ما عرفته البشرية قبله و لا بعده ، يقول صلى الله عليه وسلم : (اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه ما يطعم و ليلبسه ما يلبس ، و لا تكلفوهم ما لا يطيقون)^١ فهل بعد هذا عظمة ؟ و هل تجود البشرية بمن يقتدون برسول الله في معاملة خدامهم ؟

٣- الرسول و الصبيان :

و امتدت شفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشمل الصبيان و الاطفال فهو معلّم لمكارم الاخلاق فكيف يحرم الصبيان من اخلاقه و لطفه فكان اذا مر بهم يسلم عليهم . و يذكر أنس رضي الله عنه أنه كان له أخ صغير - لعله كان فطيمًا - يسمّى أباً عمير و كان له عصفور او بلبل صغير يسمّى بالنغير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء يقول : يا أباً عمير ما فعل النغير ؟ و اكثر من ذلك يقول أنس رضي الله عنه : ما رأيت أحداً ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤- الرسول مع الفقراء :

لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل عيش الفقراء و يحيا حياتهم ، فما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز و زيت في يوم واحد مرتين ، بل ما أكل في يوم واحد اكلتين الا احداهما تمر ، بل ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة ايام حتى قبض ، و لم يرد في الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل خبزاً مرتين او شاة مسمومة اى مشوية . و لما دعى

١- البخارى و مسلم في الايمان -

إلى مثل هذا الطعام أبي . بكل ذلك وأكثر منه وردت الاخبار الصحيحة ، و تذكر السيدة عائشة رضي الله عنها — كما يرويه البخاري في كتاب الهبة عنها — انها قالت لعروة ابن اختها انا كنا لننظر الهلال إلى الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين و ما اوقدت في آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، فقال عروة : يا خالة ما كان عيشكم ؟ قالت الاسودان التمر و الهاء ، الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار و كان لهم منافع و كانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانهم فيسقيناه ! هذا هو عيش المصطفى صلى الله عليه وسلم فكيف كانت اخلاقه مع الفقراء ؟

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو سيد السادات يقبل هدية الفقراء و يجيب دعوتهم فيقول : (لو دعيت الى ذراع او كراع لاجبت و لو اهدى الى ذراع او كراع لقبلت) . البخاري في كتاب الهبة .

و هو جواد لا يرد سائلا ولا يخيب طالبا بل تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس و أحسن الناس و يروي الدارمي بسنده عن جابر قوله (ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال : لا) .

و قد روى مسلم في كتاب الفضائل بسنده عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير و كان أجود ما يكون في شهر رمضان ، ان جبريل كان يلقاه في كل سنة من رمضان حتى ينسلخ يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، فاذا لقيه جبريل كان أجود الناس بالخير من الريج المرسل .

و الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يعطى الفقير فانما يعطى عطاء الواثق بما عند الله اكثر مما في يده فما يدخر لغده و ما يخاف ان تنزل به فاقة او تنزل بأهله نازلة . و قد روى الامام احمد بسنده عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاعطاه غنما بين جبلين فأتى الرجل قومه فقال : اسلموا فان هذا يعطى عطية رجل ما يخاف الفاقة . او قال : الفقر ! وقد بلغ رسول الله في هذا الباب مبلغا ما يعرف قدره الا احباؤه

و متبعوه المستنون بسنة الغراء فقد روى الهيثمى في مجمع الزوائد (١٣/٩) بسنده عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و أتى صاحب بز فاشترى منه قميصا باربعة دراهم فخرج و هو عليه فاذا رجل من الانصار فقال يا رسول الله : اكسنى قميصا كساك الله من ثياب الجنة ، فنزع القميص فكساه اياه ، ثم رجع إلى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصا باربعة دراهم ، وبقى معه درهمان ، فاذا هو بجارية في الطريق تبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت يا رسول الله دفع الى اهلى درهمين اشترى بها دقيقا فهلكا . فدفع النبى صلى الله عليه وسلم اليه الدرهمين الباقيين ، ثم ولت و هى تبكى ، فقال : ما يبكيك و قد اخذت الدرهمين ؟ فقالت : انى اخاف ان يضربونى ، فمشى معها إلى اهلها فسلم فعرفوا صوته ثم عاد فسلم ثم عاد فثلث فردوا فقال : أسمعتم أول السلام ؟ فقالوا نعم ، و لكن احببنا ان تزيدنا من السلام ، فما اشخصك بابينا و أمنا ؟ قال : اشفتت هذه الجارية ان تضربوها ، قال صاحبها : هى حرة لوجه الله لممشاك معها ، فبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير و الجنة ، و قال : لقد بارك الله في العشرة ، كسى الله نبيه قميصا ، و رجلا من الانصار قميصا ، و اعتق منها رقبة ، و أحمد الله الذى رزقنا بقدرته . قال : رواه الطبرانى .

و بعد فهذا طرف من اخلاقه صلى الله عليه وسلم و حسن معاشرته و رحمته باهله و خدمه و الصبيان و الفقراء فطوبى لمن يسيرون و يستنون بنبيهم الكريم فى اخلاقه و معاشرته و بالجملة فقد كان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها و هى كلمة جامعة لاخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم و يارك و عظم و مجيد ففى حديث مسلم و ابى داود و الامام احمد و الدارسى و ابن ماجه و التستائى عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين البئنى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فان خلق نبى الله كان القرآن .

قال في روح المعاني ٢٩/٢٥ : و ارادت بذلك على ما قيل ان ما فيه من المكارم كله كان فيه صلى الله عليه وسلم ، و ما فيه من الزجر عن مفسدات الاخلاق كان منزجرا به عليه الصلاة والسلام . . . الخ . و كفاه صلى الله عليه وسلم عظمة ان يكون خلقه القرآن ليعظم فضله صلى الله عليه وسلم على الانام .

٢- تأسيس الدولة الاسلامية

ما من شك في أن القائد الناجح هو الذي يستطيع أن يبني أمة ثابتة الاركان قوية البنيان تتم لها أسباب السيادة والبقاء . و ان عظمة أمة الاسلام - في سالف عهدها - انما ترجع إلى عظمة قائدها و مؤسسها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم الذي اسسها على أقوى الاسس و شيدها على أقوى الدعائم . و على كل مسلم ان يفخر بعظمة النبي العربي في تأسيس دولته الاسلامية التي لم يشهد التاريخ القديم والحديث امة اسست على مثل تلك الاسس القوية التي اسست عليها دولة الاسلام و في سطور قليلة نذكر بعض تلك الاسس ودلالاتها على عظمة النبي الكريم عليه الصلاة وازكى السلام .

١- المشاركة في البناء و التعيم :

كان من أوائل الاعمال التي اتخذت لبناء الامة الاسلامية اقامة المساجد ، و المساجد في امة الاسلام لها دلالة كبيرة فهي فوق كونها دورا للعبادة كانت مدارس تربية دينية و روحية و اخلاقية ، كما أنها امتدادات للاجتماع و عقد مجالس الحكم والشورى والنظر في شئون المسلمين بوجه عام و كان مسجد قباء أول مسجد بني لتحقيق هذا الغرض . و قد ذكر أن النبي الكريم هو الذي وضع أول حجر في قبلته ثم تبعه ابو بكر و عمر رضي الله عنهما ، و وضع حجر الاساس له دلالة قوية على عظمة القائد و لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما هو اكثر من ذلك فقد ذكر أنه كان صلى الله عليه وسلم يأتي بالحجر و قد الصقه الى بطنه فيضعه ، فيأتي الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع

حتى يأمره ان يدعه و ياخذ غيره^١ و يوضح ذلك ما روى الامام أحمد بسنده عن أبي هريرة (٣٨١/١٢) انهم كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد و رسول الله صلى الله عليه و سلم معهم ، قال (ابوهريرة) فاستقبلت رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو عارض لبنة على بطنه فظننت انها قد شقت عليه ، قلت ناولنيها يا رسول الله . قال : خذ غيرها يا أبا هريرة فانه لاعيش الا عيش الآخرة .

و في غزوة الخندق عندما اجتمعت الأحزاب لقتل دعوة الاسلام و القضاء عليها قضاء نهائيا تشاور رسول الله صلى الله عليه و سلم مع اصحابه في مواجهة هذا الخطب ثم اشار سلمان الفارسي رضى الله عنه ببناء الخندق حول المدينة و قد ظهرت عظمة رسول الله صلى الله عليه و سلم جليلة عندما شارك بيده الشريفة في الحفر قال ابن هشام (فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم ترغيبا للمسلمين في الأجر و عمل معه المسلمون فدأب و دأبوا)^٢ بل انه صلى الله عليه و سلم - كما قيل - أخذ المعول و ضرب به صخرة عظيمة استعصت على معاول اصحابه فضربها رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاث ضربات فتحطمت و كان البرق يلعب في كل مرة من شدة الضرب ، و قد روى في مشكل الآثار عن البراء بن عازب رضى الله عنه (٢٩٩/٤) أنه كان يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم ينقل التراب يوم الخندق حتى وارى التراب شعر صدره صلى الله عليه و سلم . . . الحديث .

٢- المؤاخاة

و من الأمور التي اسست عليها أمة الاسلام نظام المؤاخاة الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه و سلم بين اصحابه المهاجرين و الانصار ، ذلك النظام الذي ما عرف في أمة في التاريخ على هذا الوجه الذي عرف به في

١- الروض الأنف و معه سيرة ابن هشام ١١/٢ .

٢- ابن هشام ١٨٨/٢ .

عهد امة الاسلام .

فنظام المؤاخاة كما نتصوره عقد و بناء بين لبنتين من لبنات المجتمع الاولى ، ثم هو بالتالى عقد و بناء للمجتمع كله فى صورة دولة أو امة اجتمعت واتحدت اهواء ابنائها على المحبة و الاخاء و نصرة كلمة الله دائما .

و كان من أثر هذه الاخوة أن زادت الالفه و المحبة بين الناس حتى كان الاخ الانصارى يعتبر اخاه المهاجرى شريكا له فى بيته و ماله و غير ذلك عن محبة و رضى و طيب نفس لا عن قهر و أجبار أو اكراه .

و كانوا يتمسكون بعقد المؤاخاة تمسكا يثير الدهشة و الاعجاب فقد ذكر ان عمر بن الخطاب عند ما دون الدواوين بالشام و كان بلال مولى ابوبكر أخا لائى رويحة عبدالله ابن عبدالرحمن ، سأله عمر بن الخطاب بلالا الى من يجعل ديوانه - عند ما خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا - ؟ فقال بلال : مع أبى رويحة لا أفارقه أبدا للاخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه و بينى . فضم اليه ^١ - رضى الله عنهم اجمعين .

٣- المعاهدات :

كان مما يلفت النظر حقا و يثير الدهشة ابرام المعاهدات فى بداية نشأة الدولة الاسلامية فى المدينة .

و تعتبر هذه المعاهدات وثائق تاريخية لها قيمتها و دلالتها الخاصة فى تاريخ الدولة التى أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يعرف نظام المعاهدات على هذا النمط الذى حدث فى عهد النبي الكريم من قبل هذا . و من أهم ما يلفت النظر فى أول هذه المعاهدات انها وضعت لتحقيق اهداف سامية أهمها :

(١) كبح جاح شر قد يتوقع و قتل فتنة يحتمل وقوعها و يترتب عليها تفكك اواصر المحبة و الاخوة والوحدة بين عناصر الدولة

١- ابن هشام ١٩/٢ .

الجديدة و سكانها من الانصار و الهاجرين و اليهود .

(ب) تأكيد التكافل و التضامن الاجتماعى بين البطون و القبائل كل على حدة و هو بالتالى تعاون كامل بين جميع عناصر الامة لتوحيدها .

(ج) حسن الجوار و العشرة بين الجميع حتى مع اليهود الذين اعطوا حرية كاملة فى دينهم و اموالهم .

(د) التحالف بين جميع عناصر الدولة على حاية المدينة و الدفاع عنها اذا دهمها خطر او اعتداء .

و يحسن بنا ان نذكر بعض بنود هذه المعاهدة مكتفين بهذا البعض عن باقيها حتى ندرك أهميتها و دلالتها على عظمة الرسول فى وضع و ابرام المعاهدات :

(هـ) ان المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسياسة أو ظلم أو اثم او عدوان او فساد بين المؤمنين ، و ان يدهم عليه جميعا و لو كان ولد أحدهم . . . !

★ و ان على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم و ان بينهم النصرة على من حارب هذه الصحيفة و ان بينهم النصح و النصيحة و البر دون الاثم !

★ و ان اليهود ينفقون مع اليهود ما داموا متحاربين ، و ان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة .

★ و ان الجار كالنفس غير مضار ولا اثم ، و أنه لاتجار حرمة بغير اذن اهلها .

★ و انه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله عزوجل و الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

★ و ان الله على اتقى ما فى هذه الصحيفة و أبره .

- ✱ و انه لاتحجار قريش و لا من نصرها .
- ✱ و ان بينهم النصرة على من دهم يثرب
- و ارجع ان شئت إلى نصوص المعاهدة كاملة .

٣- الشورى :

و من أهم الاسس التى قامت عليها الدولة الاسلامية^٢ الشورى و قد يوجد نوع من التشابه بين الشورى كسلوب من اساليب القيادة فى دولة الاسلام و بين الديمقراطية الحديثة .

إلا ان الفرق يظهر واضحا عندما تصبح الديمقراطية شعارات و نداءات تتردد قبيل الانتخابات و الترشيح لمناصب الدولة ثم لا يلبث اصحابها ان يتسلطوا على الشعوب مستبدين بأرائهم و اهوائهم دون نظر لمصلحة تلك الشعوب التى طالما كانت تحلم و تتعاقب بآمال و آماني على السنة هؤلاء الحكام ثم أصبحت سرايا كاذبا يحسبه الظمان ماء أما الشورى التى اسست عليها دولة اسلام فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها تخلو من الوعود و الاماني و الآمال فقائد الامة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع جميع من يعينهم الامر ليقول لهم اشيروا على ايها الناس فيقرر بهم و معهم الرأى ازاء أمر من الامور او حدث من الاحداث ، و الجميع بعد ذلك يقبلون النتيجة خيرا كانت او شرا فهى على الرأس والعين .

ومما يذكر هنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس مشاورة لاصحابه ، مع انه ممن لا ينطق عن الهوى ، ومع أنه يستطيع ان يأمر فيطاع دون تفكير فى عواقب الامور و ناهيك باصحابه الذين يقدونه بكل ما يملكون من عزيز نفسا كان او مالا او ولدا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة يفعل ليكون إماما تتبعه امته فتصيب فلاح الدنيا والآخرة و

١- سيرة ابن هشام (٢/١٦ - ١٧)

لنذكر هنا مثالا حيا من امثلة الشورى لنذكر عظمة رسول الله في هذا الباب
فنتبعه و نسير على هديه .

ففي غزوة بدر الكبرى التي كانت فيصلا بين الحق و الباطل في تاريخ
الامة الاسلامية استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عند ما علم بمسير
قريش لتمنع غيرها التي كان المسلمون خرجوا في طلبها ، فقام ابوبكر الصديق
فقال و احسن ، ثم قام عمر فقال و احسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله
امض لى امرك الله فنحن معك و الله لا نقول لك ما كفا قالت بنو اسرائيل
لموسى اذهب انت و ربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت و
ربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشيروا
على ايها الناس فقال سعد بن معاذ ، و كان من الانصار ، كانك تريدنا
يا رسول الله قال أجل ، قال : فقد آمننا بك و صدقناك ، و شهدنا ان ما جئت
به هو الحق ، و اعطيناك على ذلك موثيقنا و عهدنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لى اردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخصته لخصناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، و ما نكره ان
تلقى بنا عدونا غدا ، أنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك
منا ما تقرر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ' .

هذا مثل حى من امثلة الشورى خلق بأن يستشف منه عظمة القيادة
التي ملكها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناء امته الاسلامية و خلق بان
يتبع و يحتذى !

٥- القيادة العربية :

كان من الطبيعى ان يدافع المسلمون عن انفسهم و عن دولتهم اذا
دهمهم خطر او عدوان خارجى .
وليس في هذا كبير غرابة و عجب ، ولكن العجب والغرابة حقا فيما

لبدءه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اساليب حربية و حسن قيادة و تنظيم لجيوش المسلمين في معاركهم مع اعدائهم و المسلمون قلة و اعدائهم كثرة ، و ناهيك بقائد ينظم الصفوف بيده و يعرف كلا واجبه في الحرب و القتال ثم يكون هو نفسه في مقدمة الصفوف لا يتكص و لا يتراجع ففي غزوة بدر كما ذكر ذلك ابن هشام (٢/ ٢٨٠) اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظم اصحابه و يعدل الصفوف بقدر كانت في يده .

و مما يذكر هنا بالفخار لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عندما مر بأحد اصحابه—و هو سواد بن غزبة—و قد فارق موضعه متقدما في الصف فطعن بالقدح في بطنه و قال استويا سواد ! فقال يا رسول الله اوجعتني و الذي بعثك بالحق و العدل ، فأقذني ! فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه و قال استقد ، فاعتنقه سواد فقبل بطنه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك ان يمس جلدي جلديك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير .

و في غزوة أحد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر جيشه في مقابلة العدو أمر رجلا من اصحابه على الرماة و هو عبدالله بن جبير و قال له : انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا ان كانت لنا او علينا فاثبت مكانك لا تؤتيت من قبلك) ابن هشام ٢/ ٢٩٠ ؛

و ما اعظمها من خطة حربية وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم لحماية ظهر جيش المسلمين .

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قائدا لا ككل القواد . فكم تعاني الجيوش في عصرنا الحديث من أوامر القادة الذين يضعون الخطط الحربية ثم يضعون انفسهم في موضع يأمنون فيه على حياتهم ان حدثت هزيمة او نكوص فهم في مؤخرة الجيوش يصدرون أوامرهم بالتقدم لجنودهم فاذا كانت الهزيمة كان هؤلاء القادة اقرب الى الفرار و النجاة بأنفسهم من اخطار الحروب .

اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو في أشد معارك الحروب يتقدم الصفوف لا يضعف او ينكص ولا يتراجع ولو تفرق عنه اصحابه وجنده من المسلمين ، وفي ذلك يروى البخارى في كتاب الجهاد والسير بسنده عن أبي اسحاق ، قال رجل للبراء ابن عازب أفرتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ، ان هوازن كانوا قوما رماة ، وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فأنهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهم ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر فلقد رأيته وانه لعل بغلته البيضاء ، و ان ابا سفيان -يعنى ابا سفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم- أخذ بلجامها و النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

انا النبي لا كذب انا ابن عبدالمطلب

هذه شهادة اصحابه بشجاعته صلى الله عليه وسلم ولا غرو فهو أشجع الناس كما ورد في صحاح الآثار و يروى الامام أحمد بسنده عن علي بن أبي طالب قاله : لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو - وكان من اشد الناس يومئذ بأسا - المسند ١/ ٨٦

و في رواية اخرى عنه عليه السلام قال : كنا اذا أحمر الباس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا احد ادنى من القوم منه . المسند ١/ ١٠٨

و بعد : فهذه بعض الاسس التي قامت عليها دولة الاسلام بقيادة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وكلها تشهد على عظمة رسول الله في سلمه و حربه ورعاية شئون دولته ، و يا حبيذا لو ترجع الشعوب الاسلامية في حاضرتنا لتسير على هذه الاسس فتعود أمة الاسلام الى أوج عزتها وعظمتها كما كانت في مآلف عهدها .

و صلى الله و سلم على سيدنا محمد الذي بعثه الله رحمة للعالمين .

